خطبة الجمعة 3 شوّال/ 1445هـ **12/ 4/ 2024م**

ماذا بعد رمضان

أ.د. محمد سعيد حوا

قال تعالى: ﴿ ... وَلِتُكْمِلُوا العِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: 185]

وهكذا كنا في نعمة عظيمة تقتضي كمال الشكرِ لله، وكمال التعظيم لله، وهكذا انقضت عبادة الصوم الركن الرابع في الإسلام في شهر الصيام رمضان وفيه ليلة القدر، والله يريد منا الارتباط بهذا القرآن، لذلك ربط بين ليلة القدر وتنزل القرآن، فماذا فعل بنا شهر الصوم، وماذا فعل بنا القرآن وماذا فعلت بنا ليلة القدر؛ إذ جعل الله القرآن يتنزل في ليلة القدر لنكون أمة ذات قدر.

القرآن الذي جعله الله هدىً للناس، وهدىً للمتقين.

فلكل التائهين في أمور حياتهم، في مشكلاتهم الأسرية، في علاقاتهم مع أبنائهم وجيرانهم، في معاملاتهم المالية، في سلوكياتهم، في طلب السعادة والسكينة، في البحث عن حلول أمتنا كلها، لن نجده إلا في القرآن ، الذي صاغ حياة الأمة فخرج المجاهدين والحكام العادلين والعلماء الناصحين والشباب المؤمنين ، وبنى اليقين والرضا والشكر على كل حال، والحب لله والتسليم مع التعظيم، وأنشأ المجتمعات الخيرة القوية،

ربما منّا من قصّر، ولكن أمامك الطريق فاستدرك، وخذ العبرة لرمضان آتٍ إن قدّر الله لك أن تعيش أن تجتهد فيه، فما هي إلا سويعات وينقضي وكذلك الحياة كلها تنقضي، فلنتدارك أنفسنا الآن الآن قبل أن يأتي يوم لا ساعة مندم فيه.

وكان همّ الصالحين بعد أن يقوموا ما قاموا به من عبادات، هل قبلوا أم لا؟

وإن حسن ظننا بالله يجعلنا نرجوا القبول القبول، وإن من علائم القبول كما ذكروا حسن الخواتيم ودوام الأعمال الصالحة، فأنشأنا في شهرنا هذا علاقة مع القيام، والقرآن، والمسجد، والإحسان، فلابد أن تبقى هذه الوشائج دائمة فينا ولو بحدها الأدنى.

وبعد هذا الشهر، دعونا نبحث في أنفسنا هل تخرجنا من مدرستين: مدرسة المراقبة ومدرسة الصبر.

أما المراقبة فتلك التي قال فيها ﷺ: (... الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ...) البخاري، عن أبي هريرة، 4777.

والمراقبة استشعارك حقيقة ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: 4]

وحقيقة ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: 7]

وحقيقة ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر: 19]

ومن ثم تستشعر ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافات: 24]

وحقيقة ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ﴾ [ق: 17]

وحقيقة ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً ﴾ [مريم: 95]

وأعظم إصلاح للوجود عندما يكون الإنسان رقيباً على نفسه، فنرجو أن نكون قد خرجنا بهذا الدرس العظيم العملي في حياتنا.

والجانب العملي في مدرسة المراقبة: توبة نصوح صادقة خالصة نتمسك بها ونعود إلى الله دائما.

المحامي الطبيب الممرض المحاسب التاجر المدرس السائق الصيدلي القاضي كلهم يراقب الله في عمله؛ فكلّ هؤلاء وغيرهم يقومون بعملهم بإتقان وصِدق وإخلاص مِن غير رقيبٍ ولا حسيب عندَ وجود المراقبة.

والدرس الثاني العظيم:التخرج من مدر سة الصبر

فهل استحضرنا ما معنى ثمرة الصبر الإيجابي الذي يجعلك تقوم بحق الله على الوجه الذي يريده الله، وتتفاعل مع قضايا المسلمين تفاعلاً صحيحاً.

من مشكلاتنا اليوم التفاعل الخاطئ مع قضايا المسلمين بسبب الاندفاع والعاطفة، وأحياناً الجهل وأحياناً التسويق الإعلامي فبدل أن نوجه معركتنا نحو العدو الصهيوني فقط ، يريد البعض أن ينقل المشاكل أو الصراع إلى بعض بلاد المسلمين بما لا يجوز أن يكون بحال من الأحوال، أو أن يفرط بأمن بلاد المسلمين، أو أن يدفع بالشباب نحو اندفاعات لا تؤدي إلا إلى التهلكة، فالصبر هو التفعال الإيجابي مع أمر الله، ومع قضايا المسلمين عن علم وبصيرة،من غير ذل ولا خضوع ولا ضعف، ونحن نرى اليوم أهلنا في غزة يجسدون مدرسة الصبر العظيم، فلنر ثمرات الصبر في أكثر من عشرين ثمرة تتفرع إلى ثمار كثيرة في الدنيا والآخرة، أقدم لكم نموذجاً من القرآن فيها، وينبغي أن نكون قد خرجنا بها من مدرسة الصوم بها:

1- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بْالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ، وَلاَ تَقُولُوا لِمْن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ، وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: 153 – 157]؛ فهذه بيّنت إنّ الله معهم، وإنّ الله يبشّرهم، وأنّهم عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأنّهم مهتدون.

2- شهادة من الله بالصدق والتقوى ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 177]

3- وفي سورة آل عمران: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: 120]

4- وفي النساء: ﴿ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [النساء: 25].

5- فإذا وصلنا إلى سورة الأعراف: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: 128].

6- ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ﴾ [الأعراف: 137]، وفي الآيات سنن مِن سنن الله؛ فنرجو أن تتحقق في أهلنا في غزّة.

7- ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [هود: 11]

8- فإذا تمّ ذلك رأينا الأنموذج الأعظم في سورة يوسف: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: 90]

فإذا تمّ ذلك جاءت سورة الرعد لتحدثنا عن عطاءٍ في الجنّة: ﴿ وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ، سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد: 23 – 24].

9- ثم يتوالى التأكيد في العطاءات والبشارات؛ فجاءت سورة النحل: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: 96]

10- ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ، وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ، إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: 126 – 128]

11- بعد أن حدثنا عن العباد الذين تحققوا بالإيمان وتعرضوا لما تعرضوا إليه من إيذاء وسخرية، قال في حق أهل الإيمان في سورة المؤمنون: ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ اليَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الفَائِزُونَ ﴾ [المؤمنون: 111] فجعل علة ذلك الصبر.

12- ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [لقمان: 17]

13- ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: 24]، وهذه سنّة مِن سنن الله، ونراها في أهلنا في غزّة.

14- ومع ذلك كلّهِ لا يوفّي الصابرون أجرهم إلا الله، وبغير حساب؛ فجاءت سورة الزّمر: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: 10]

15- وجاء في العلاقات العامّة: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [الشورى: 43].

16- لنختم بأجرٍ عظيمٍ في الجِنان: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً، فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ اليَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً، وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً، مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً، وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً، وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ ﴾ [الإنسان: 10 – 15].

وهنا نقول: هنيئاً لأهلنا في غزة الذين جسدوا معاني الصبر هذه ونرجو أنهم فازوا بكل الثمرات تلك.

فنرجو أن نكون قد تخرجنا في مدرسة رمضان، بثمرتي المراقبةِ والصَّبَر؛ لتنبي حياةً وأمّةً وإيماناً، وعلاقةً صحيحةً معَ الله والخَلق والقرآن والمساجِد.